(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الثالث, الصفحات 453-467

وظائفُ التشبيه في شعرِ بدر شاكر السياب

م.م . نيان حسين عبد الله [1]*

م.م. عبد الاله جميل جاسم محمد [2]*

[1] كلية طب الاسنان ، جامعة الكوفة، العراق

[2] المديرية العامة تربية النجف الاشرف ، وزارة التربية، العراق

الملخص

يُعدّ التشبيه من أبرز الظواهر الأسلوبية التي تُثري النص الشعري وتمنحه جمالًا وعمقًا، وقد أولى النقاد والبلاغيون اهتمامًا خاصًا لوظائفه المتعددة ، وفي شعر بدر شاكر السياب، يُشكل التشبيه ركيزة أساسية من ركائز بناء الصورة الشعرية، لا بوصفه زينة بلاغية فحسب، بل بوصفه أداة فاعلة تؤدي وظائف دلالية ونفسية وجمالية متنوعة، تُسهم في تشكيل الرؤية الشاعر بدر شاكر السياب للعالم والإنسان ،وسعى السياب عن طريق التشبيه لإزالة الغموض عن بعض الأفكار أو المشاهد، وتقريبها إلى ذهن المتلقي عن طريق ربطها بما هو مألوف لديه.

الكلمات المفتاحية : الشعر الحديث ، وظائف التشبيه ، بدر شاكر السياب

The Functions of Simile in Badr Shakir al-Sayyab's Poetry

Assistant .Teacher . Nian Hussein Abdullah [1*]

Assistant .Teacher . Abdul-Ilah Jameel Jassim Muhammad [2*]

[1] College of Dentistry ,University of Kufa, Iraq

[2] General Directorate of Education in Najaf ,*Ministry of Education, Iraq*

Abstract:

Simile is one of the most prominent stylistic phenomena that enriches poetic text, giving it beauty and depth. Critics and rhetoricians have paid special attention to its multiple functions. In Badr Shakir al-Sayyab's poetry, simile constitutes a fundamental pillar of poetic imagery, not only as a rhetorical embellishment, but also as an effective tool that performs various semantic, psychological, and aesthetic functions, contributing to shaping al-Sayyab's vision of the world and humanity.

Keywords: Modern poetry, functions of simile, Badr Shakir al-Sayyab

المقدمة:

يُعد التشبيه من أكثر الفنون البلاغيّة التي أهتم بها الدارسون وعلى مر العصور الادبية ، فهو يؤدي دورا مهما واساسيا في عمليه التصوير الفني ، التي تعد مرتكزا مهما للتعبير عن المعنى الشعري ، ومن ثم التأثير في المتلقي وإحداث الاستجابة

* **Email address: niyanh.alshimary@uokufa.edu.iq**

المطلوبة ، وقد أهتم الشعراء بهذا الفن إهتماما كبيرا ، وراحوا يوظفون مختلف أنواعه في قصائدهم الشعرية ، بدءا منذ العصر الجاهلي حينما راح الشاعر الجاهلي امرئ القيس يشبه الليل بموج البحر في معلقته المشهورة مرورا بالعصر الاسلامي والاموي والعباسي ، يجد المطلع على الدواوين الشعرية إهتمام الشعراء بهذا الفن وتوظيفه بما يخدم الغرض الشعري الذي ينشدونه ، ويعكس فن التشبيه البيئة التي يعيشها الشاعر فضلا عن الثقافة التي يتمتع بها فتكون صوره انعكاسا لتلك البيئة .

امّا في العصر الحديث فقد إستمر الشعراء بالتأكيد على فن التشبيه ومحاولة توظيفه في قصائدهم الشعرية ، وعلى رأسهم رواد الشعر العربي الحديث في العراق ، ومنهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وسواهم كثر , وبما إنّ الشعر كان تعبيرا عن هموم الامة وآلامها ، وما تعانيه من قهر وإضطهاد نتيجة الظروف القاسية التي تعرضت لها الامة العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص ، وجدنا الشاعر الحديث ينقل تلك المعاناة في قصائده مستفيدا من الإمكانيات البيانية التي يتحلى بها فن التشبيه ، ولا شك في الشاعر يبتغى من وراء هذا التوظيف تحقيق مجموعة من الاهداف والوظائف التي يتمتع بها فن التشبيه ، وهو موضوع بحثنا ، الذي أتبعنا فيه المنهج الوصفي التحليلي ، لغرض الوصول الى نتائج تخدم موضوع البحث الرئيس ، وذلك بعد جمع ودراسة وتحليل الابيات التي وظف فيها الشاعر الكبير السياب فن التشبيه ، وقد حتمت طبيعة المادة أن تكون الدراسة بحسب الوظيفة التي يؤديها فن التشبيه مع الاستعانة بالأمثلة والشواهد الشعرية التي تعزز البحث ، ومن الجدير بالذكر انّ مصادر الدراسة تنوعت بين كتب البلاغة والنقد والدراسات الادبية ، التي تناولت البيان العربي بالتحليل لغرض الوقوف على جماليات فن التشبيه وكيف إستطاع شاعرنا السياب ان يوظّفه التوظيف الأمثل بما يخدم غرض الشعر ، وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين .

بلاغة التشبيه ووظائفه :

إستطاع السياب أن يفيد من الامكانيات الفنية العالية التي ينطوي عليها فن التشبيه ، فهو شاعر متمكن ويعد من رواد الشعر العربي في العصر الحديث وقد كتبت عنه دراسات كثيرة بينت القيمة الجمالية التي اشتمل عليها شعره ، وموضوع التشبيه له الاهمية الكبيرة من بين بقية الفنون البيانية ونتيجة لهذه الاهمية أخذ التشبيه مكانة مرموقة عند البلاغيين العرب القدامى حتى جعلوه ركنا من أركان البلاغة لقدرته على إخراج الخفي الى الجلي وإدناء البعيد من القريب ([1]) أما عن أهم الوظائف التي يؤديها التشبيه في شعر السياب فإنّ له وظائف عديدة، وهي كما يلي :

اولاً: الوظيفة السياسيّة

أفاد السياب من وظيفة التشبيه في الإيحاء والتأثير العاطفي ، فهو يساعد في إثارة مشاعر القارئ وإيصال الانفعالات بشكل أعمق ، خاصة عندما يكون غرض القصيدة سياسي يتعلق بطبيعة الأنظمة الفاسدة والحكام الظلمة الذين حاربهم الشاعر في قصائد من شعره ، موظفا فن التشبيه حيث لم يقف الشاعر يوما عن تناول الشأن السياسي ، ملخصا القول في قضية الحرية والعدالة ، فالشاعر لا يمكن ان يبتعد عن السياسة فهو متواشج معها , فالاتجاه السياسي لم يكن وليد العصر الحديث , وإنما كانت نواته الاولى في العصر الجاهلي عندما كان الشاعر المدافع الاول عن قبيلته , وكذلك في الاسلام اتخذ الشعراء جانبا سياسيا مرادفا للجانب الديني في الدفاع عن الاسلام[2] ، فالشعر (ديوان العرب .. وكانوا يخلدون أيامهم وأعمالهم بتسجيلها في قصيدة فكان الشعر تاريخياً لأيامهم)[3] .

وقد نشط الشعر السياسي شيئا فشيئا على مر العصور ، ومن مقوماته الحروب والغزوات وشؤون الحكام والولاة، فالشاعر السياسي (هو الفن القولي .. الذي يتناول شؤون الحكم تأييدا او تنفيذا او يتناول علاقة الامة بغيرها في حرب او سلم)[4]

ويرى بعض الدارسين أنّ الشعر السياسي هو الذي يلامس قضايا الأمة الاجتماعية والفكرية والثقافية ، وهو الذي يعبر عنها سواء تناول نظم الدولة الداخلية أم مس مكانتها الخارجية بين الدول والأقطار ، وسواء التزم جانبها ودافع عنها ام وقف مناوئا لها ولأعمالها ، وليس من الضروري في هذا الشعر أن يعبر الشاعر عن رأي يؤيده المجتمع فقد يكون الرأي خاصا بالشاعر أو بفئة قليلة ممن تنتظمهم تلك الدولة [5] ، كذلك ليس من الضروري في الشعر السياسي أن يلتزم بالبراهين والتفاصيل , بل يكفيه ان يلمح ويوجز ويترك التفاصيل والجزئيات للتاريخ وللناس , لأنه وليد العاطفة والخيال[6]

الشعراء إتخذوا من الشعر وسيلة لإنقاذ وتأييد الحكام أو تحشيد الناس للعرب , وغيرها لأن الشعر (يؤثر فيهم ويهز خواطرهم ويوقظ مشاعرهم , ويعيينهم على فهم الحياه ويوجههم الى رفع المثل وأنبل الغابات) [7] .

الشاعر قد تناول الاحداث السياسية التي مرّ بها العراق ، وجميع التطورات السياسية التي حدثت في الوطن العربي في فترة حياته ، فضلا عن معارضته لسياسة الحكام الفاسدين وقد ورد هذا في قوله من قصيدة حملت عنوان (حطّمت قيدا من قيود) جاء فيها :

حررت بالدم كل جيل ناء

أت سيذكر منة الآباء

ورقيت من جثث الضحايا سلما

يفضي الى الحرية الشماء!

وجعلت احجار القبور صحائفا

وملأتهن برائع الانباء!

فتلفيت التاريخ يلقي نظرة

عجلى، ويومئ باليد الحمراء!

لقد تفنن الشاعر في اظهار صوره الفنيّة ، اعانه في ذلك قدرته على ايجاد علاقات جديدة بين الفاظه الشعرية ، فقد صارت جثث الضحايا سلما وهي اشارة الى كثرتها فضلا عن المعنى الخفي في التسلط على رقاب المستضعفين من الناس ، وحتى ان احجار القبور صارت صحائفا ، ومن ثم يذهب الشاعر بعيدا ليشخص التاريخ فهو له القدرة على الالتفات وكانه انسان عاقل يلقى نظرة عجلى ويومئ بيده الحمراء ، ليسجل تلك الاحداث القاسية التي مرت بها البلاد ، ويضيف الشاعر :

ان (الحليف) هو الحليف وان صفا

لا تخدعنك صبغة الحرباء!!!

حيث التفت رأيت شعبا جائعا

عريان، يملأ جوفه بالهواء!

يسقي الزروع دما لتثري (طغمة)

تبني سعادتها على الاشقاء

واذا تضجر (أطعمته) رصاصها

و(كسته) بالأكفان والبوغاء!!

...

واستيقظ الإرهاب يفرك مقلة

رغم النعاس دقيقة الاحصاء

عدت على الأحرار آثار الخطى

والاهة الحرّى على السجناء!

قل للحيلفة ان شعبا واعيا

هيهات ان يرضى بغير جلاء! (8)

يشبّه الشاعر في البيت الأول الحليف المخادع المتخفي بالحرباء ، التي تتلون بتلون الطبيعة التي تعيش بها فهو يرفض جرائم المستعمرين في حق شعبه ويكشف الاعيبهم وخداعهم بالوعود ،اذ لاهمّ لهم سوى امتصاص خيرات العراق واستنزاف ثرواته وترك ابنائه يتضورون جوعا .

ومن الامثلة الاخرى قول الشاعر :

بسمه النور في ثغور الجراح

انت قبل الصباح نجم الصباح

كلما لحت في خيال الطواغيت

وألهبت مرقد السفاح

ذاب قيدٌ علي اللظى وتراخت

قبضات على حطام السلاح [9]

الشاعر شبّه الشهداء بالنجوم المضيئة التي تنير الظلام وهذا حال الشهداء الذين يزون طريق الحرية بدمائهم . وقف الشاعر ثائرا ومنددا بالمستعمر واعوانه الخونة وذكر الشاعر ان دماء هؤلاء الشهداء لن تذهب سدى بل ستكون مصدر رعب للقاتل فهي تضل تدك مضجعه وتسلبه الراحة وهي ايضا مصابيح تضيء طريق قوافل الشعب الثائر لقد كان الابداع عند الشاعر عبارة عن بركان ثائر ناتج عن تأثير الشاعر بالذات والمحيط الذي يكون منبعا للإلهام سواء اكان محيط التجارب الخاصة بالشاعر او تأثيره الخاص ورؤيته المختلفة عن اقرانه وهذا يتولد عن تجارب لصيقة بالشاعر تتجسد في نشأته وبنيته وعاطفته الشعرية فضلا عن البيئة التي تتوفر على عناصر الجمال والعمران والريف والبداوة وكل هذا كان له انعكاس في قصائد السياب .

ومن النماذج الاخرى قول الشاعر :

قوتي وقوتُ بنيّ لحمٌ آدمي أو عظام

فليحقدنَ عليَّ كالحمم المستعرة، الأنام

كي لا يكونوا إخوةً لي آنذاك، ولا أكون

وريث قابيل اللعين سيسالون

عن القتيل فلا اقول :

"أأنا الموكّل، ويلكم بأخي؟" فإن المخبرين

بالآخرين موكّلون! [10]

انّ هذه الابيات تعود لقصيدة المخبر التي تعد من اهم القصائد التي صورت الظلم ولموقفه الرافض للملكية التي كانت تحكم العراق زمن انتاج النص في الخمسينيات، وقد كانت شخصية (المخبر) أو الشرطي السري من الشخصيات السلبيّة في نصوص كثيرة لا سيما في السرد، وقد اختار السياب شخصية المخبر ليبث من خلالها أفكاره حول الحرية خاصة، الذي اصبح غرابا ينعق بالموت والخراب في منازل بغداد واكواخ البائسين في الريف العراقي ، فهو شبّه حقد حكومة نوري السعيد بالحكم المستعرة التي تتوقد كلما استجدت المواقف والشدائد .

كذلك نجد الشاعر يوظف التشبيه في قوله :

ما الذي ينطف من حلمته من لحمه

يا حبال القنب التفي كحيات السعير

و اخنقي روحي وخلي الطفل والأم الحزينة

يا حبالا تسحب الموتى إلى قبر كبير

جفنة قد هيّأوها للوليمة

يا حبالا تسحب الأحياء من شيخ كبير

من فتاة أو عجوز من ضلوع حطموها

علقت فيها تميمة

من صدور مزّقوها

زرعوا فيها بذورا من رصاص من حديد

ما الذي تثمر هاتيك البذور ؟

غير أحجار القبور

غير تفاح الصديد [11]

يلاحظ القارئ لهذه المقطوعة التي اجاد فيها الشاعر، انها تحوي على توظيف رمزية من رموز الادب العربي ، وهو الحبل وهذا الرمز يستعمل كثيرا في الادب، ونجد شاعرنا يسمى استعمال التشبيه بالحبل كأنه الحيات ، ونحن نعرف مدى قوه ضغط الحية ، وهي الوسيلة التي تستعمل في قتل الخصم ، والشبه يشير الى الموت الذي لابد منه وهي صورة تثير الخوف والهلع في النفس البشرية فضلا عن دلالة الحبل والحيات في القرآن الكريم ، ويبدو ان الشاعر قد تأثر بتلك الصور القرآنية ، ومن الجدير بالذكر ان قصيدة السياب غلب عليها طابع التشاؤم بالمستقبل القادم لان الاعداء زرعوا بذور الرصاص ، وهو يسال مستنكرا ما الذي يمكن ان تنتجه تلك البذور سوى الموت المتمثل بأحجار القبور ، فضلا عن صور متقطعة من الصديد ، لقد كان السياب يختار مفرداته بدقة بالغة ، وبما يلائم غرض القصيدة ، وهو يقصد من وراء ذلك اثارة شعور المتلقي ، ومن ثم فان نص السياب ينفتح على دلالات عميقة تأتي من القراءة المعمقة له ، وهذا الامر يضفي على النص جمالية اخرى .

ثانيا : الوظيفة الاجتماعيّة :

ان علاقة الشعر بالحياة علاقة وثيقة وموضوع الشعر فيه أعرق الموضوعات التي تتصل بنفس الامة وهو يصف ادق الامور بخصائص حياتها , وتفاصيلها , ودقائقها [12], لأنّ الشعر عادة يصور الحياة بمختلف عواطفها وحوادثها وانفعالاتها [13] , فهو يكاد يدخل في كل شان من شؤون الحياة العربية [14], فموضوع الادب عامة والشعر خاصة هو الانسان والإنسان بطبعه كائن اجتماعي , لا يستطيع الانعزال عما حوله فلا بد له ان يتفاعل معها باستمرار بما يخلق لديه جملة من العلاقات المتنوعة التي يحاول التنسيق فيما بينها ليامن لنفسه نوعا من التلازم والاستقرار ، والشاعر بما اوتي من رهافة

الحس وكثافة الشعور فهو اكثر الناس تفاعلا مع مجتمعه ومهما حاول الابتعاد عنه او شعر بالغربة تجاهه , فانه لا يستطيع ان يبعده عن فكرة و وجدانه وخياله وإحساسه ألمتوقدة ومن هنا كانت عملية التلاؤم والانسجام معه اكثر تعتقدا واغنى بل اكثر صعوبة فلا يجد لها مخرجا الامن خلال عالمه الابداعي , وهذا يعني ان العالم الشعري ليس خاصا بالشعر وحده بل هو تتجسد للعلاقات الاجتماعية في تقاطعها وتشابكها , ولكن وفق رؤيته الخاصة وتطلعاته نحو الانسجام والاستقرار[15] .

فالشاعر يكون أكثر انسجام مع المجتمع من أي انسان اخر (ولاشك ان الاديب يعبر بشكل أو بآخر عن الأوضاع والاتجاهات والقيم الاجتماعية ، فأدب الاديب يشير الى المجتمع الذي نشأ فيه بل ويشير الى الفئة الاجتماعية التي ينتسب اليها وما شاع فيها من تقاليد اجتماعية ومن معايير اخلاقية ....الخ) [16] ، ونلاحظ انّ التشبيه يفيد التأكيد والتعظيم وهو يعزز الفكرة المراد إيصالها ويزيد من قوتها .

فالشاعر إنسان يتفاعل مع المجتمع ويستجيب لمؤثراته لذلك , اعتبر النقاد والأدباء بان الشعر (روح العصر ونتاج المجتمع)[17] .

والأساس إجتماع يربط بين العمل الفني وظروف الحياة القائمة , ومن خلال هذا تتحدد القيمة [18] ، فالشعر هو(روح المجتمع الذي تنفع فيه الحياة) [19] ، ومما تقدم يمكن القول بانّ العلاقة بين الشاعر والمجتمع هي علاقة وطيدة , لأنه يستمد صوره من مجتمعه وبيئته والواقع الذي يعيش فيه من عادات وتقاليد فالمناسبات الاجتماعية تضفي طابعا وجدانيا على احساس الشاعر مما تجعله يرغب في ابراز لإحساس هذا الاحساس بأقصى ما يمكن من البيان والتأكيد [20]

انّ المطلع على شعر السياب يجد في شعره النضالي انه صادر عن نظرة عريضة شامله تربط ظواهر الحياة ببعضها البعض ، من هنا نجد الشاعر يستعين بالتشبيه في شعره لأنه يسهم في اغناء المعنى داخل القصيدة ومن ذلك قوله :

تنهالُ أشعاري

كالثأر

كالنور في رايات ثوار [21]

لقد اراد الشاعر إثارة العزيمة عند جموع الناس الثائرة على الظلم والعدوان بمختلف اشكاله ، فهو يريد لأشعاره أن تبقى متوهجة وان لا تخمد نارها مشبها ذلك بالثأر الذي يبقى مشتعلا في نفس صاحبه ، ولا يهدأ هذا الثأر حتى يأخذ بحقه وهنا يذهب بنا الشاعر الى صورة بدوية ، يربط فيها الحسي بالمعنوي والامر مرتبط بالعروبة التي لا يتنازل عنها العربي ، فهي متأصلة ومتجذرة في نفسه ، ويبدو ان غاية الشاعر من ذلك هي رفع الروح المعنوية وشحذ الهمم لان الامر يستحق ذلك فالعربي لا يقبل بالضيم أبدا ، لتاتي بعده الصورة التشبيهية الثانية المتمثلة بالنور في رايات الثوار ، فهو يريد ان تلك الثورة حق فعبر عنه بالنور وإن هذا الحق لا يقبل الجدال أو التهاون فيه ، من هنا صارت الاشعار دليلا على العزيمة والاصرار وقد تنبه بعض الدارسين الى أن السياب يصدر عن ذات شعرية تمور بالتمرد فليس ثمة تقاطع بين ركود تفرضه ضغوط مجتمع تسلّل الى نسيج شاعر منهك ورغبة ثورية ستندفع بغزارة الى منتجه وتفيده في تشقيق وجوه بنائية مثلى لقصيدة تولد على يديه وتوسم به مرحليا [22] .

ونجد الشاعر في قصيدة اخرى يقول :

وعلى الرمال، على الخليج

جلس الغريب، يسرح البصر المحيَّر في الخليج [23]

لقد صوّر الشاعر كيف جلس على شاطئ الخليج بالكويت ، وهو يسرح ببصره العذب وقلبه الجريح نحو وطنه الحبيب العراق ، وعواطفه تفور وتغلي شوقا وحنيا الى عراقه الغالي ويستمر الشاعر موظفا التشبيه في قوله :

ويهد أعمدة الضياء بما يُصَعِّدُ من نشيج

أعلى من العبَّاب يهدر رغوُهُ ومن الضجيج

صوتٌ تفجر في قرارة نفسي الثكلى عراق

كالمد يصعد، كالسحابة ، كالدموع إلى العيون

الريحُ تصرخ بي عراق

والموج يُعوِل بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق!

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون [24]

يتوقف الشاعر بصورة الحائر على العراق وتتفجر أعماقه بالشوق الجارف والحنين المتدفق فشبّه هذا التفجير وتصاعده , كالسحابة التي تهطل فيها الامطار ، في إشارة منه الى شدّة الحزن والنواح ، فكانت أعماقه تعلو وتهبط فشبهها بأمواج الخليج الصافية ،ولعلّ قدرة الشاعر الفنية على إيجاد صور متراكمة يخلقها التشبيه ، وذلك من جعل هذا الصوت الهادر مرة يشبه مد البحر الصاعد ومرة اخرى يشبه السحابة ومرة ثالثة هو يشبه الدموع في العين ، ولاشك أنّ الرفعة والعلو كانت تميز هذا التشبيه ، فضلا عن طابع الحزن الخاص بالسياب الذي يبثه في أغلب تشبيهاته وهو حزن عراقي أصيل ، ومن الشواهد الاخرى قول الشاعر :

امي وجه امي في الظلام

وصوتها يتزلفان مع الروى حتى انام

وهي النخيل اخاف منه اذا ولهم مع الغريب

فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب من الدروب [25]

يلجأ الشاعر الى ذكريات طفولته وصباه , وإنّه مازال يتغذى على ذكريات احاديث امه له , وكيف ينساها وهي زاده الوحيد في رحلة العذاب والتشرد والفقر والحرمان ، وشبّه الغربة التي عاشها بالقصص الغريبة التي حكتها امه لهُ ، وهي في حقيقتها قصص مخيفة مؤلمه تأثّر بها الشاعر, لقد تناول الشاعر تجارب كثيرة في مجتمعه مثل اضطهاد المرأة

والمجتمع السيء الذي ينتهك حقوق المرأة وهو ما اشارت اليه الدراسات الحديثة [26]، لقد لجأ الشاعر الى استعمال آلية التشبيه البليغ ، وذلك بحذف اداة التشبيه ووجه الشبه حتى يزيد من تأثير الصورة في المتلقي لتظهر امه وهي تشبه النخيل ، وليس هناك من شك في ان الشعراء اكثرو من ايجاد علاقة بين المرأة والنخيل وعلى مر العصور الادبية ،والشاعر في هذه القصيدة يشيع أجواء الخوف والقلق عن طريق اسلوب الايحاء ، ويبدو ان الشاعر يريد ان يشير الى الخصب والنماء عن طريق توظيف صورة الام .

ثالثا: الوظيفة النفسيّة

وهي الوظيفة التي عن طريقها يسعى الشاعر للتعبير عن عواطفه وأحاسيسه ويكون فيها هيمنة للبعد النفسي على تشكيل الصورة , وان توظيف البيان النفسي عند الشعراء لا يقف عند حد اللفظ فحسب بل يسير نحو الايحاءات والمتموجات النفسيّة ، التي تخاطب الوجدان لذلك لم يقف استعمالهم على إسلوب معين ولا نمط من الصور دون آخر بل سعوا من دائرة الاستعمال البياني لكي يتمكنوا من التعامل مع الواقع [27] فهي تعني (بمجموعة الانفعالات التي في النفس وتسيطر على القوى الشعوريّة عند الانسان , فهي شرح في اعماق وتشتد نحو سريرته , فتدعوا الى التسيير تارة والى التحذير تارة اخرى ، فهي مقياس التأثير النفسي والتجاوب الداخلي عكسا وطردا) [28] .

ولعلّ العلاقة بين الادب والنفس تجمع اطراف الحياة لكي تصنع منها الادب , والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضئ جوانب النفس , والنفس التي تتلقي الادب لتضع الحياة ، وإنها دائر لا يفترق طرفها الا لكي يلتقيها..)[29] ، وهنا يسعى الشاعر من خلال التشبيه الى التوضيح والتقريب فالتشبيه يساعد في توضيح المعاني المجردة وجعلها أكثر قربًا وفهمًا للمتلقي.

والنفس أيضا هي المجال المفضل الذي تطوق في اثنائه بصائر الفنان , والشاعر فنان فهو لا يرى الطبيعة كما يراها الانسان العادي , لأنّ عاطفته تكشف له عن الحقائق الداخلية وراء الظواهر ، فعينه موصولة بقلبه تنفذ الى اعماق الطبيعة ليصل الى الحقائق ومشاهد كامنة لا يصل اليها من لم يمتلك تلك العاطفة كالحب الذي يحمل العاشق للمعشوقة [30]، فالشاعر يتحرك في قصيدته وفق المثير النفسي الذي يغذي انفعالاته [31] . والايقاع الفني يقوم على اساس وجداني نفسي لأنه يصدر عن الروح واليها يعود ليُحرك أوتارها , ولا يترك فيها أثر حركتها لتترنم بها ، وبما يكتنفه من تلاؤم وانسجام حتى يحقق للنفس ارتياحها وهدوءها [32].

ويمكن دراسة الوظيفة النفسية من خلال البيان وما يترتب عليه من انعكاسات نفسيّه بسب مجيء أداء بيان دون آخر ، وترابط ذلك مع حال الشاعر للوصول الى حال إقناع ومتعة واكتشاف من خلال الصياغة الجماليّة , وخلق عالم حقيقي يودعه المنشئ آراءه وأفكاره , فيشبه حالته النفسية حين يحمل ذلك الاداء البياني انفعالات الشاعر تجاه الواقع , ومن هنا تظهر الوظيفة النفسية للأداء البياني [33] ، والمتأمل في شعر السياب يجد ما لقيه في حياته من العذاب والتنكيل والتشريد واستمراره في طريقه متحدثا عن الآخرين افرادٍ وجماعاتٍ وعن آلامهم وأفراحهم , وعن الآخرين وكفاحهم وبؤسهم ومتناقضات أوضاعهم , بقلب انساني كبير , ومشاركة شعورية ذات حظ من الاصالة والعمق [34].

قال الشاعر :

والشمس كالأمل البعيد يذوب في الشجن الهزيل

او كالغرام يغيب خلف حوادث الدهر الثقيل

او كالحياة تغور بين دموع ذي سقم ، عليل

كالبدر يكسفه النهار ، كنجمة عند الافول [35]

لقد تفنن الشاعر في خلق صوره الفنيّة القائمة على التشبيه ، وهي صور يغلب عليها طابع الحزن والالم " فالسياب من الشعراء الذين يوظفون الحس وادواته العينية خلوصا الى قائمة من المعنويات وفي دمج اسلوبي يشف لاحقا عن حركية تناوب بدقة بين ظهور غنائي وخفوت درامي [36] ، لقد ظهرت الشمس في تشبيه الشاعر بالأمل البعيد الذي يذوب في الشجن ، وهو الحزن وهي صورة والوجه الذي يجمع بينهما هو البعد ، وتستمر صور الشاعر المعنوية الغرام وحوادث الدهر والحياة والدموع ، لينطلق الى رسم صور حسيّة متخذا من البدر في وضح النهار وبين النجمة عند الافول ليشير الى الخفاء والنهاية والعدم وهي صور تبين حجم القلق الذي يعيشه الشاعر ، لقد أراد الشاعر ان يمنح تعبيره أثرا وإقناعا وجمالا وليقربه الى الاذهان بالصور التي ينتجها الشاعر في تشبيهه والعلاقات التي يخلقها فيه " فالتشبيه يحقق جانبا من جوانب اللغة كونها وسيلة من وسائل الفهم المتبادل فضلا عن قدرته على اثراء الفهم بما يفتح لها من آفاق رحبة عن طريق الخيال والصور والربط بين المعاني المتباعدة لان التشبيه مبنى على ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الاشياء في وصف خاص يربط بينها [37].

ومن الامثلة الاخرى التي تعزز الوظيفة النفسية في تشبيهات السياب قوله :

نسيج اليد البالية

رواها ظلام من الهاوية

وغنى بها ميتان

أساطير كالبيد ماج سراب

عليها وشقت بقايا شهاب

وأبصرت فيها بريق النضار

يلاقي سدى من ظلال الرغيف

وأبصرتني والستار الكثيف

يواريك عني فضاع انتظار

وخابت منى وانتهى عاشقان [38]

في هذه القصيدة نلاحظ أن الشاعر إنتفض ضد العادات والتقاليد التي فرّقت بينه وبين حبيبته التي اعادت له الحياة . وبعد الموت فيسميها بالأساطير والخرافات من نسيج الزمن , ونلاحظ ان الشاعر شبّه هذه الاساطير التي وصفها وهو يتحدث عن القصص التي دارت بينه وبين محبوبته وانتشارها كالبيد الذي يموج في السراب ، ليعلن ان الوهم والاسطورة هما اللذان يحكمان الموقف وليس الحقيقية في اشارة الى حجم القنوط الذي اصاب الشاعر ، فكانت الصورة التشبيهية عن الصحراء والسراب والضياع والخيبة والانكسار العاطفي ، ليصل بالشاعر الى نهاية ذلك العشق لتنتهي معه كل الآمال التي كان يتوسمها ، لأن النسيج جاء من يد الظلام والهاوية فانت تشعر بكمية الحزن في هذه القصيدة وهو حزن عميق في داخل الشاعر كشفت عنه الصور التشبيهية .

ومن الصور التشبيهية التي جاءت في قصائد السياب قوله :

لا تتركي لا تتركي لغدي

تعكير يومي ما يكون غدي

وإذا ابتسمت اليوم من فرح

فلتعبسن ملامح الأبد

ما كان عمري قبل موعدنا

إلا السنين تدب في جسد

أختاه لذّ على الهوى ألمي

فاستمتعي بهواك وابتسمي

هاتي اللهيب فلست أرهبه

ما كان حبك أول الحمم [39]

نلاحظ انّ الشاعر قد نجح في تعميق مجرى حبّه في قلب محبوبته التي بادلته حباً بحب ووفاء بوفاء وخاصة بعد ان تكرر اللقاء ، غير أن العادات والتقاليد كانت مازالت خنجرا يهدد حبهما وشبّه حبهما بالحمم التي تأتي الى الانسان بدون اشارة سابقة ، وهذا الامر يأتي من عوامل نفسيّة ترسبت في نفسيّة الشاعر من الامور السابقة التي عاصرها الشاعر ، وقد ارتكز الشاعر في وصفه على اسلوب التشبيه ، ومن الجدير بالذكر ان الشاعر كثيرا ما يستعمل اسلوب التشبيه السردي فهو يصف المشبه ومن ثم يسرد تفاصيل المشبه به وهذه احدى خصائص التشبيه عند السياب .

ومن الشواهد الاخرى التي تعزز الوظيفة النفسيّة للتشبيه قول الشاعر :

انفاسي المتجمدات على ضفافي كالصخور

يصرعن ازهار الغرام بمنجل البرد النثير[40]

وقوله ايضا :

انا حائر ..متوجف .. قلق كالظل بين جوانب البحر

المد قربني الى شبـــــحي والآن تبعدني يد الجزر [41]

لقد شبّه الشاعر انفاسه المتجمدة على الضفاف بالصخور ، والذي دفعه الى خلق هذه الصورة هو لسبب نفسي يتعلق بشدّة جزع الشاعر وتضجره ، مما جعله يصاب بالحيرة والذهول ، حتى صارت الازهار تصرع بمنجل البرد ، وهي استعارة للبرد ليعبر عن الموت الذي يصرع كل شيء بمنجل يقطف كل شيء ولا يترك حيا الا وحصده كما يفعل البرد الشديد في الازهار الرقيقة ، لقد زاوج الشاعر بين الحسي والمعنوي في صوره الفنية من خلال العلاقات الجديدة بين المفردات الشعرية ، اما عن الصورة الثانية فهي عبارة عن انعكاس للحيرة والقلق الذي يشبه الظل بين جوانب البحر ، وهي صورة تعبر عن حجم القلق وعدم الثبات الذي انتاب نفسية الشاعر ، حتى جعله يبتكر صورة مبنية على التشبيه الذي يجمع بين الحسي والمعنوى ، فقد حلق بنا الشاعر الى عالم البحر وصورة المد والجزر والخيال الوهمي بينهما .

وفي موضع اخر من ديوان الشاعر نجده يوظف التشبيه في قوله :

" بابا ... بابا "

ينساب صوتك في الظلام إليَّ، كالمطر الغضير

ينساب من خلال النعاس وأنت ترقد في السرير

من أي رؤيا جاء ؟ أي سماوةٍ؟ أي انطلاق ؟

واظل اسبح في رشاشٍ منه ، أسبحُ في عبير

فكأنّ اودية العراق

فتحت نوافذ من رؤاك على سهادي كل واد [42]

لقد وظّف الشاعر الصوت وهو مقترن بالظلام وبالمطر الغضير ، وهو كناية عن شدّة الصوت وكثافة المطر الشديد ، وقد اختار زمن الظلام لأنه اشدّ رهبةً في النفس خاصة بعد ان جمع معها المطر الذي يثير الخوف في النفس ، لكن الشاعر على الرغم من شدة حزنه يبث الامل في آخر قصيدته بان العراق بأوديته تفتح نوافذا من تلك الرؤى التي تتنبأ بالخير القادم ليصبح كل واد من تلك الأودية منبعا للخير .

الخاتمة :

يمكن لنا ان نسجل اهم النتائج التي توصلنا اليها في البحث وكما يلي :

اظهر البحث ان التشبيه عنصر مهم من عناصر الشعر العربي وان الشاعر المجيد لا يمكن له ان يستغنى عن هذا الفن في رسم صورته الفنية والتي يعبر بها عن همومه وبفضل التشبيه يستطيع الشاعر ان يحلق في عوالم الخيال والابداع الذي يتميز من خلاله الفن الناضج المؤثر .

بيّن البحث ان التشبيه يؤدي وظيفة التزيين والجمالية ، فهو يضفي جمالًا على النصوص الشعرية ويجعلها أكثر تأثيرًا في المتلقي .

كشف البحث عن الدور السياسي للشعر في استنهاض الهمم واثارة العزيمة ، وذلك بالإفادة من الوظيفة السياسية للتشبيه وقدرتها على اثارة التفاعل عند المتلقي ، والامر يرتبط بثقافة الشاعر ومدى غايته من الشعر ، والامر يبدو جليا في الادب الموجه والملتزم بالقضايا المصيرية التي تهم الشعوب المظلومة التي تناشد الحرية .

اظهر البحث صوت الشاعر السياب الذي ينم عن رؤيته الذاتية المستنكرة للظلم في الوظيفة النفسية للتشبيه وهو بذلك يعبر عن الحزن العميق المتجذر في النفس البشرية .

الهوامش

[1] - ينظر : اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، 1972م، ط1، :43/1
[2] - ينظر : الاداء البياني في شعر صادق القاموسي ، مرتضى شناوة فاهم : 136
[3] - الاسلام والشعر , د. يحيى الجبوري: 63
[4] - ادب السياسة في العصر الاموي , د. احمد محمد الحوفي : 8
[5] - ينظر : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ابراهيم الوائلي : 117
[6] - ينظر: المصدر نفسه .
[7] - التفسير الاعلامي للأدب , د. محمد عبد المنعم خفاجي :6
[8] - الاعمال الشعرية الكاملة , بدر شاكر السياب : 497/2
[9] - الاعمال الشعرية الكاملة : 495/2
[10] - الاعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب :193/1
[11] - الاعمال الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب : 198/1
[12] - ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري . نجيب محمد الهيتي : 3
[13] - ينظر : اتجاه الشعر الاسلامي في العصر العباسي (رسالة ماجستير) عبد الحر بن ابراهيم : 3
[14] - ينظر : الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي .د ابتسام احمد حمدان : 93
[15] - الشعر والشعراء , ابن قتيبة : 8
[16] - سيكولوجيا الابداع في الفن والادب , يوسف مخائيل اسعد: 985
[17] - النقد الادبي , احمد الامين :24
[18] - ينظر : الاسس الجمالية في النقد الادبي , د. عز الدين اسماعيل/88
[19] - سوسيلوجيا الادب (دراسة الواقعة الادبية على ضوء علم الاجتماع) ، د. قصي حسين :19
[20] - ينظر : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر , عبد القادر القط : 44
[21] - الديوان :231/1
[22] - ينظر :اسلوبية الاداء التعبيري دراسة نصيّة في تجربة السياب ، انسام محمد راشد : 4
[23] - الديوان: 181/1
[24] - الديوان :181/1
[25] - الديوان :181/1
[26] - ينظر : دوافع الابداع الشعري بدر شاكر السياب انموذجا ، نهلة حنون سادة :16
[27] - ينظر : الاداء البياني في شعر صادق القاموسي : 87

[28] - الصورة الفنية في المثل القرآني , محمد حسين علي الصغير: 385
[29] - التفسير النفسي للأدب , عز الدين اسماعيل: 5
[30] - ينظر : علم النفس والأدب , د سامي الدروبي : 25
[31] - ينظر : التحليل النفسي والادب , جان بيلمان نوبل : 23
[32] - ينظر : الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي , د. ابتسام احمد حمدان : 124
[33] - ينظر : النص الادبي من التكوين الشعري الى انماط الصورة البيانية , صباح عنوز : 27
[34] - ينظر : بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره :176
[35] - الديوان : ج161/1
[36] - ينظر : اسلوبية الاداء التعبيري دراسة نصيّة في تجربة السياب ، انسام محمد راشد :7
[37] - ينظر : جماليات التشبيه بالرمز في قصيدة السياب (انشودة المطر) ، رضا كريم محمد ، مجلة ديالى ، العدد الخامس والعشرون ، 2007م : 3
[38] - الديوان :59/1
[39] - الديوان :59/1
[40] - الديوان: 195/1
[41] - الديوان :235/1
[42] - المصدر نفسه : 184/1

المصادر والمراجع

1. اتجاه الشعر الاسلامي في العصر العباسي (رسالة ماجستير) عبد الحر بن ابراهيم ، جامعة الازهر ، القاهرة ، 1974م .
2. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر , عبد القادر القط ،مكتبة الشباب ،مصر ، 1988م .
3. الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي .د ابتسام احمد حمدان ، دار القلم العربي ، سوريا – حلب ، ط1، 1418هـ - 1997م .
4. الاسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، الدكتور عز الدين اسماعيل ، دار التونسي الثقافية ، آفاق عربية بغداد، ط3، 1986م.
5. الإسلام والشعر، د. يحيى الجبوري ، مكتبة النهضة، بغداد، 1964م.
6. الاعمال الشعرية الكاملة , بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت – لبنان ، 2016م.
7. اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ،ط1 ، 1972م .
8. اسلوبية الاداء التعبيري دراسة نصيّة في تجربة السياب ، انسام محمد راشد ، مجلة كلية اللغات ، العدد 28، 2014م .
9. الاداء البياني في شعر صادق القاموسي ، مرتضى شناوة فاهم ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، 2014م .
10. ادب السياسة في العصر الاموي , د. احمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت – لبنان .
11. بدر شاكر السياب دراسة في حياته و شعره , د. احسان عباس ، الطبعة الرابعة ، 1978م.
12. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط3، 1967م .
13. التحليل النفسي والادب , جان بيلمان نوبل ن ترجمة حسن المودن ، 1997م

14. التفسير الاعلامي للأدب , د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الفكر العربي ، لبنان ، 1980م
15. التفسير النفسي للأدب , عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، الطبعة الرابعة ، 1981م.
16. جماليات التشبيه بالرمز في قصيدة السياب (انشودة المطر) ، رضا كريم محمد ، مجلة ديالى ، العدد الخامس والعشرون ، 2007م
17. سوسيلوجيا الادب (دراسة الواقعة الادبية على ضوء علم الاجتماع) ، د. قصي حسين ، مكتبة الجامعية ، دار ومكتبة الهلال ، 2009م
18. سيكولوجيا الابداع في الفن والادب , يوسف مخائيل اسعد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 186م .
19. الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت276هـ) تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1982م .
20. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ابراهيم الوائلي ، بغداد ، مطبعة العاني ، 1967م.
21. الصورة الفنية في المثل القرآني , دراسة نقدية بلاغية ,الدكتور محمد حسين علي الصغير ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام , سلسة دراسات (288) دار الرشيد للنشر 1986م.
22. علم النفس والأدب, د .سامي الدروبي ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، دار المعارف ، مصر .
23. دوافع الابداع الشعري بدر شاكر السياب انموذجا ، نهلة حنون سادة ، مجلة آداب المستنصرية ، 2012م .
24. النص الادبي من التكوين الشعري الى انماط الصورة البيانية , صباح عنوز ، النجف ، دار الضياء ،2007م
25. النقد الادبي , احمد الامين ، مؤسسة هنداوي ، 2012م .